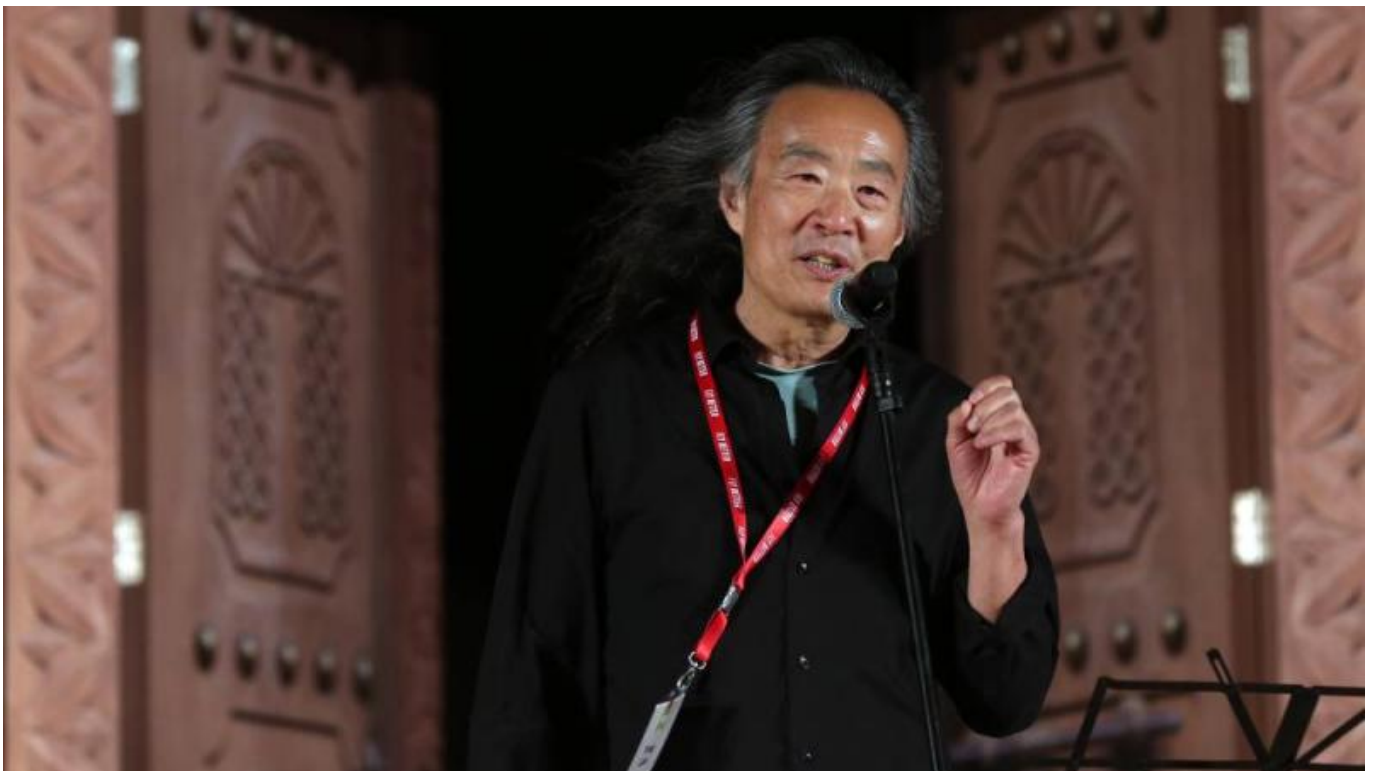


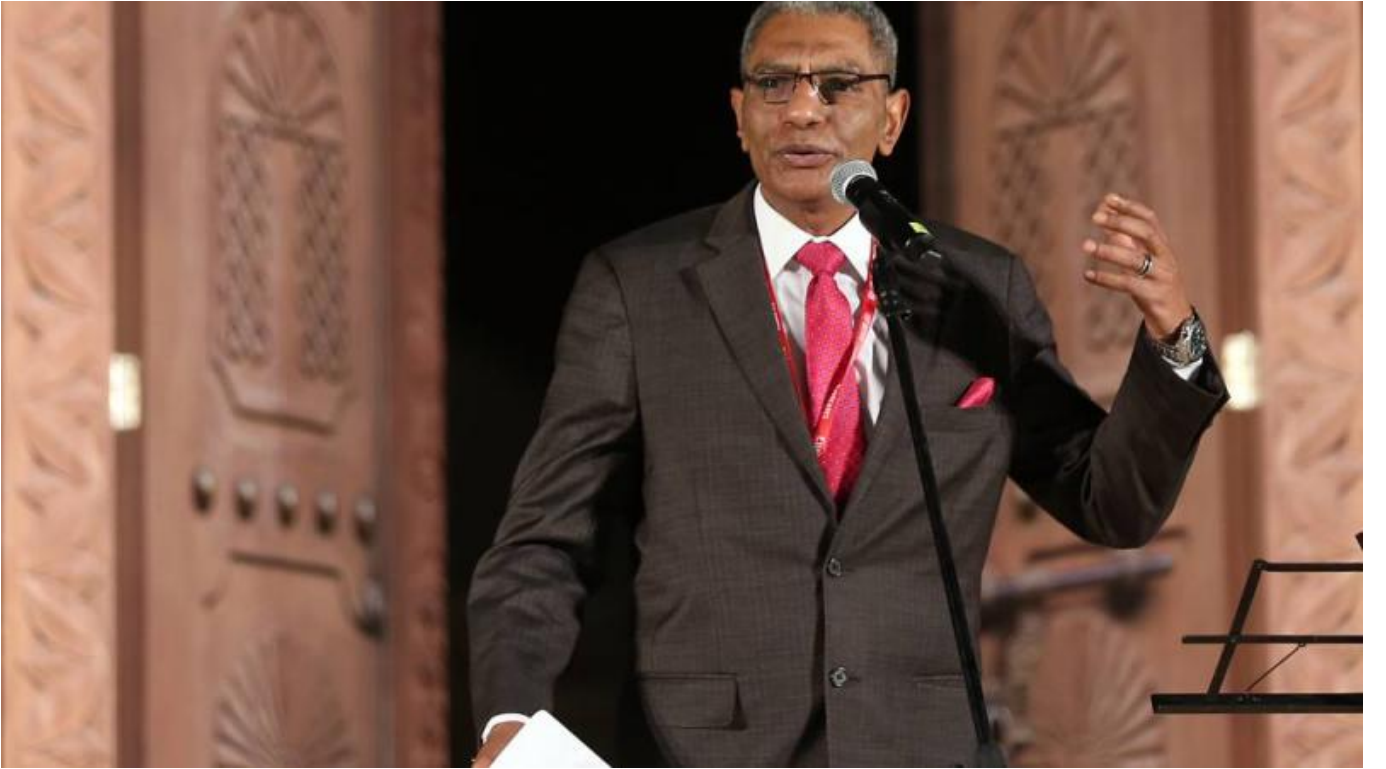
أبيات من عمق الصحراء.. الشعر لغة الإنسان الأولى











دبي: عثمان حسن

في أجواء ساحرة جمعت بين الموسيقى والشعر ومفردات التراث، وبحضور نخبة من المثقفين والإعلاميين، وضمن فعالية «أبيات من عمق الصحراء» لمهرجان طيران الإمارات للآداب، اجتمع 12 من مبدعي ومبدعات العالم مساء أمس، الخميس، في مخيم كرفان سراي الصحراء بدبي في لقاء ضم: الفلسطينية الأمريكية حلا عليان، والبتسوانية توانغوا ديما، والمصري أحمد بخيت، والفلبيني غريس نونو، والنيجيري بن أوكري، والأمريكية كلوديا رانكين، والفلسطينية الأمريكية دانا الدجاني، والصيني يانغ ليان، والعمانية عائشة السيفي، والإماراتية د. رفيدة غباش،

والسعودية نادية خوندنة.

حلق هؤلاء المبدعون في فضاءات شعرية حاملة تنتصر لقضايا البشر في شتى بقاع الأرض، وقد أيقظت القصائد التي ألقاها الشعراء بما حملته من قوة الكلمة وفرادة الخيال الجامع كينونة الإنسان، كما أكدت على فرادة الكلمة وحساسية المفردة التي تواجه كافة أشكال التردّي والخراب الذي يسود اللحظة الراهنة.

قرأ أحمد بخيت قصيدة «شتائيون» وجاء فيها:

شتائيون نحنُ وأنت شالُ
ونهرَيون جبهتنا الجبالُ
وشرقيونَ رحالون غرباً
جنوبيونَ وجهتنا الشمالُ
نهاريونَ والإسراءُ ليلاً
وكهفيونَ والليلُ اعتزالُ
أشداءُ على وجع الليالي
بما يكفي ليجرحنا الخيالُ.

* حدود غير واضحة

الشاعرة حلا عليان، قرأت قصيدة تحدثت من خلالها عن شتات الذكريات، وفي قصائدها هناك مزيج لعدة أصوات ومنازل وأرشفات تتبع مساراتها بين بروكلين وبيروت والقدس، فهي قصائد عن تلك الحدود غير الواضحة بين المكان والزمان والشكل الشعري، إنها لحظات عن تفاصيل يومية مبتذلة من الحياة التي تعيشها في ظل وحشية جيوسياسية، والعكس بالعكس، وقصائدها عن ذلك المكان والجسد المتأرجح بين هنا وهناك، وعن ذلك الحب الذي يعيدها إلى نفسها ما بين الماضي والمستقبل، رغم حالة الصخب والحياة غير المستقرة التي تحولها - ربما - إلى شخص أوشيء آخر. ومن قصيدة ليانغ ليان الذي يعتبر أحد أكثر الأصوات تمثيلاً للأدب الصيني وأحد أعظم شعراء العالم في عصرنا نقراً: «لقد شوهت مسرحية الموت ملامحك ولم يعد الناس/ تذكر صرخة واحدة من ضحك وخوف طفل ضعيف/ المدخل فارغ والشجرة عمود بخور». ويقول: «فقط فضيلة الموتى المستعادة هي التي ما زالت تسير في طريق العودة إلى المنزل/ الشفرات الذابلة من الأوراق المتساقطة تقطع الخريف بهدوء/ حرف واحد وغير استثنائي يكمن في أسمائك/ مبادلة ماكرة مع شبحنا هي صورة قديمة/ كل من يختبئ في صوت الريح لا يسقط مرة أخرى في المحار الأسود من القدمين/ مت الآن/ القصيدة هي العنوان الوحيد الذي يستحق الإحياء».

وفي قصيدة أخرى يقول: «أشجار متجمدة باللون الأحمر في الثلج كما لو كانت ترتدي سترات ممزقة من الرياح/ ينسحق الثلج تحت الأقدام بينما يندفع الليل بأحذية ذات نعال جديدة/ تخشى الماعز من الوحدة/ ومن أجل آذانها تحول ثغائها إلى نحيب على الطريق ولدت بقرة للتو/ مغطاة بآثار السوط وترقد وتلهث في الوحل والدم/ أضواء الشوارع مضاءة في الصباح والعشاق مظلّمون كالصخور يقفون هناك بوجوه ضبابية».

* حس مرهف

وترصد الشاعرة توانغوا ديما، ذات الأصول الإفريقية، عذابات الإنسان وأشكال التمييز العنصري في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تفتقد العدالة ويموت الكثيرون بسبب نقص الرعاية الصحية، وفي قصيدتها تقرن توانغوا ديما بين الحب وحققها في الرعاية الصحية، الذي يجب أن يطال الجميع ويظهر في الأماكن العامة، لكي لا يموت شخص عرف الحمى لثلاثة أيام بعد أن افتقد القدرة على التنفس، من خلال مزاج شعري يسلط الضوء على عذابات الناس الفقراء الذين يموتون معزولين ولا يسمع بهم أحد. فتقول: «فكرنا في الخيار العام/ كنا نظن الوصول عبر الشارع/ عبر الخطوط/ هنا/ ليست دولة حمراء وليست ولاية زرقاء/ ولكن هذه الولايات المتحدة/ كنا نظن أننا يمكن أن نكون

متأكدين من أنفسنا بهذه الطريقة، واثقين من عرقنا البشري، وأخلاقنا الأساسية».

أما الشاعر والروائي والمسرحي وكاتب القصص بن أوكري، فيكتب بنكهة لازعة عن سطوة اغتراب الذات في ظل تنامي أشكال الظلم والعبودية في كافة أشكالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، يكتب قصائده لينتصر لحرية الإنسان ولكي يحارب الكراهية ويقول: «يقولون لي أن العالم غني بالإرهاب / أقول أن العالم غني مع ذاك الحب المتواري / إنه بداخلنا وفي كل مكان حولنا / الإرهاب موجود بلا شك.. العنف والجوع والجفاف / الأنهار التي لم تعد تتدفق إلى البحر / إنه ظل الإنسانية / هناك رعب في الهواء / لقد وضعناه هناك.. فقر، عمى، سلاح / لكن العالم غني / حب عظيم لم نعثر عليه / حتى في الرعب، هناك حب، حرره / النهر، يتدفق إلى البحر.. نحن بحاجة إلى الحرية لنرتفع ونعلو / كن صادقاً مع نفسك الحقيقية / كن القوة التي أنت عليها، في عصر الجرائم الاقتصادية / فقط أولئك الذين يظلون أحراراً بالروح / سوف يجدون طريقهم للخروج من هذه المتهمة».

وقرأت عائشة السيفي، وهي أول امرأة تحصل على لقب «أمير الشعراء»، عدة قصائد ومن أجوائها: «حفنة من تراب دمي / خذوا حفنة من تراب دمي / وارحلوا كالغبار الخفيف الذي يُحرَجُ الأرض في ليلة العاصفة / واتركوا لي الكمنجات / كي أستعين بها في ليالي البكاء التي تتفجر فيها القصائد بالعاطفة / لهذا البلاد / سأترك قلبي يغني وحيداً / كذئب حزين / لموتى يصيخون خلف الأعالي / لأصواتنا... وضجيج شجاراتنا / واللهاث السريع / ولهفتنا للحياة / وأقدامنا الضاربات على الأرض / لهذا البلاد التماثيل / والجثث المستفزة بالموت / صوت النساء المصابات بالليل والشرفات التي لا تطل على البحر / والأغنيات التي لا تحب الموسيقى / تريد البلاد لقلبي خريفاً عجوزاً بلا حلم / وأما أنا فأريد لقلبي شتاء يحب الشتاء ومدخنة / وهواء خفيفاً يجيء من البحر نحوِي / يُداعبُ حُزني / ويؤنسُ وحشة أحلامي الخائفة».

وضمن سعيها لإحياء إرث الشاعر الكبير محمود درويش ترجمت دانا دجاني قصيدة له بعنوان «قافية من أجل المعلقات».

*فتاة العرب

وترجمت خوندنة قصيدة بالإنجليزية من أشعار الإماراتية عوشة بنت خليفة السويدي، وتلتها الدكتورة ربيعة غباش التي قرأت قصائد لـ «فتاة العرب» التي حظيت باحترام ومحبة من عرفوها عن قرب، ومن تذوقوا شعرها من جيلها أو جيل الحداثة الذين وجدوا في إبداعها رافداً ثقافياً ولغوياً أصيلاً يستحق التنويه، فهي الشاعرة التي عمقت قصائدها وجدان الانتماء للتراث الثقافي والهوية العربية، وهي الشاعرة التي أطلق صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، رعاه الله، عليها «فتاة العرب» تقديرًا لمكانتها وموهبتها الشعرية. قرأت د. ربيعة غباش نماذج من قصائد «فتاة العرب» بينها واحدة تقول كلماتها:

غرس الحب في قلبي زراعة

ومن دمعي سقيته والولاعة

غزير الحب وبحوره غزيرة

وكل به يميل به شراعه

فيا اللي طالب العليا تسنع

ترى الأخلاق هي راس الشجاعة

فلا تفخر بمال ولا مشيخة

ركونك في يد العالم صناعة

تخلق بالكمّ والسجيا

وتصبح كلمتك دأيم مطاعة

